وتسعين سنة وقيل ابن تسع وتسعين سنة وقال ابن عباس في رواية الضحاك كان ابن مائة وعشرين سنة
وكانت امرأته بنت ثمان وتسعين سنة فذلك قوله تعالى وامرأتي عاقر اي عقيم لا تلد قال كذلك الله يفعل
ما يشاء يعني انه تعالى قادر على هبة الولد على الكبر يفعل ما يشاء لا يعجزه شي قوله عز وجل قال يعني زكريا رب
اجعل لي آية اي علامة اعلم بها وقت حمل امرأتي فازيد في العبادة والشكر لك قال آيتك اي علامتك على الذي
طلبت معرفته علمه الا تكلم الناس اي لا تقدر على تكليم الناس ثلاثة ايام اي مدة ثلاثة ايام بلياليها قال جمهور
المفسرين عقل لسانه عن تكليم الناس ثلاثة ايام مع ابقائه على قدرة التسبيح والذكر ولذلك قال في آخر
الآية واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار يعني في ايام منعك عن تكليم الناس وهذه من الآيات الباهرة
والمعجزات الطاهرة لان قدرته على التسبيح والذكر مع عجزه عن تكليم الناس بامور الدنيا وذلك مع صحة الجسم
وسلامة الجوارح من اعظم المعجزات وانما منع من الكلام مع الناس ليخلص في هذه الايام لعبادة الله وذكره ولا
يشغل لسانه بشي آخر توفيرا منه على قضاء حق هذه النعمة الجسيمة ويشكر الله على اجابته فيما طلب
الآية من اجله وان يكون ذلك دليلا على وجود الحمل ليتم سروره بذلك وقال قتادة انما امسك
لسانه عن الكلام عقوبة لسواله الآية بعد مشافهة الملائكة اياه ببشارة الولد فلم يقدر على الكلام
ثلاثة ايام الا رمزا يعني الا اشارة والاشارة قد تكون باليد وبالعين وبالايما بالراس وكانت
اشارته بالاصبع المسبحة وقيل الرمز قد يكون باللسان من غير تبيين كلام وهو الصوت الخفي
شبه الهمس وقيل اراد به صوم ثلاثة ايام لانهم كانوا اذا صاموا لم يتكلموا والقول الاول اولى لموافقة
اهل اللغة عليه واذكر ربك كثيرا وذلك لما منعه الله من الكلام في تلك المدة امره بالذكر فقال واذكر
ربك كثيرا فانك لا تمنع من ذلك ولا يحال بينك وبينه وسبح اي وعظم ربك ونزهه عن النقائص وقيل
وصل لربك وسميت الصلاة سبحة لان فيها تنزيها للرب سبحانه وتعالى بالعشي والابكار فاما العشي فهو
ما بين زوال الشمس الى غروبها ومنه سمي صلاة الظهر والعصر صلاتي العشي والابكار هو ما بين طلوع الفجر
الى الضحى قوله عز وجل واذ قالت الملائكة يعني جبريل عليه السلام يا مريم ان الله اصطفاك اي اختارك وطهرك يعني
من مسيس الرجال وقيل من الحيض والنفاس وكانت مريم لا تحيض وقيل من الذنوب واصطفاك اي واختارك
على نساء العالمين اي على عالمي زمانها وقيل على جميع نساء العالمين فان قلت
هل فرق بين الاصطفاء الاول والثاني قلت ذكر العلماء في معناهما وجوها يتحصل
منها الفرق فقيل في معنى الاصطفاء الاول ان الله تعالى اختار مريم وقبلها منذورة محررة ولم يحرر
قبلها انثى ولم يجعل ذلك لغيرها من النساء وان الله بعث اليها رزقها من عنده وكفلها زكريا ومعنى الاصطفاء
الثاني ان الله تعالى وهب لها عيسى من غير اب واسمعها كلام الملائكة ولم يجعل ذلك لغيرها من النساء ق
عن علي بن ابي طالب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها
خديجة بنت خويلد قال ابو كريب واشار وكيع الى السماء والارض قيل اراد وكيع بهذه الاشارة تفسير
الضمير في قوله خير نسائها ومعناه انهما خير كل نساء بين السماء والارض قال الشيخ محيي الدين النواوي والاظهر
ان معناه ان كل واحدة منهما خير نساء الارض في عصرها واما التفضيل بينهما فمسكوت عنه ق عن ابي موسى
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا مريم بنت عمران وآسية امرأة
فرعون وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام قال العلماء معناه ان الثريد من كل طعام
افضل من مرقة بغير ثريد وفضل عائشة على النساء كزيادة فضل الثريد على غيره وليس في هذا تصريح

بتفضيلها

بتفضيلها على مريم وآسية لاحتمال ان المراد تفضيلها على نساء هذه الامة عن انس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد
وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون اخرجه الترمذي قوله عز وجل يا مريم اقنتي لربك اي قالت
الملائكة لها شفاها اطيعي ربك وقيل معناه اطيلي القيام في الصلاة لربك قال الاوزاعي
لما قالت الملائكة لها ذلك قامت حتى تورمت قدماها وسالت دما وقيحا وحكي عن مجاهد
نحوه واسجدي واركعي مع الراكعين انما قدم السجود على الركوع لان الواو لا تقتضي الترتيب انما هي للجمع كانه
قيل لها افعلي الركوع والسجود وقيل انما قدم السجود على الركوع لانه كان كذلك في شرعهم
وقال ابن الانباري امرها امرا عاما وحضها على فعل الخير فكانه قال استعملي السجود في حال والركوع
في حال ولم يرد تقديم الركوع على السجود بل اراد العموم بالامر على اختلاف الحالين وانما قال اركعي مع
الراكعين ولم يقل مع الراكعات لان الراكعين اعم فيدخل فيه الرجال والنساء والصلاة مع الرجال
افضل واتم وقيل معناه افعلي كفعل الراكعين وقيل المراد به الصلاة في جماعة اي صلي مع المصلين في
جماعة قوله عز وجل ذلك من انباء الغيب يقول الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم ذلك الذي ذكرت لك
من حديث زكريا ويحيى ومريم وعيسى عليهم السلام من اخبار الغيب نوحيه اليك اي نلقيه اليك يا محمد
لانه لا يمكنك ان تعلم اخبار الامم الماضية الا بوحي منا اليك وانما قال نوحيه لانه رد الضمير الى ذلك
فلذلك ذكر اللفظ وما كنت يعني يا محمد لديهم هنالك عندهم اذ يلقون اقلامهم يعني التي كانوا يكتبون
بها في الماء لاجل الاقتراع ايهم يكفل مريم يعني يربيها ويقوم بمصالحها قيل سبب منازعتهم في
كفالة مريم حتى اقترعوا عليها في كفالتها انها كانت بنت عمران وكان رئيسهم وكبيرهم فلاجل ذلك رغبوا في
كفالتها وقيل لان مريم حررت لعبادة الله وخدمة المسجد وكان ابوها قد مات فلاجل ذلك رغبوا
في كفالتها وما كنت لديهم اذ يختصمون يعني في كفالتها وتربيتها قوله عز وجل اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه
معناه وما كنت لديهم يا محمد اذ يختصمون وما كنت لديهم اذ قالت الملائكة يعني جبريل عليه السلام
يا مريم ان الله يبشرك والبشارة اخبار المرء بما يسره من خبر بكلمة منه يعني برسالة من الله وخبر من
عنده فهو كقول القائل القى الي فلان كلمة سرني بها واخبرني خبرا فرحت به ومعنى الآية اذ قالت الملائكة
لمريم يا مريم ان الله يبشرك ببشرى من عنده وهو ولد لك من غير بعل ولا فحل وذلك الولد اسمه
المسيح عيسى ابن مريم قال قتادة في قوله تعالى بكلمة منه هو قوله كن فسماه الله كلمة لانه كان عن الكلمة
التي هي كن كما يقال لما قدره الله من شي هذا قدر الله وقضاؤه يعني ان هذا الامر عن قدره وقضائه
حدث وقال ابن عباس الكلمة هي عيسى عليه السلام وانما سماه كلمة لانه وجد عن الكلمة التي هي كن
فان قلت كل مخلوق فانما يوجد بواسطة الكلمة التي هي كن فلم خص عيسى عليه السلام
بهذا الاسم وسماه كلمة دون غيره قلت ان كل مخلوق وان وجد حدوثه وخلقه بواسطة
الكلمة الا ان هذا السبب هو المتعارف ولما كان حدوث عيسى عليه السلام بوجود الكلمة من
غير واسطة اخرى فلا جرم كان اضافة حدوثه الى الكلمة اكمل وبهذا التاويل حسن ان يسمى
عيسى عليه السلام نفس الكلمة لانه حدث عنها فان قلت الضمير في قوله اسمه عائد
الى الكلمة وهي مؤنثة فلم ذكر الضمير قلت لان المسمى بها مذكر فلهذا ذكر الضمير فان
قلت لم قال المسيح عيسى ابن مريم وهذه ثلاثة اسماء والاسم منها واحد وهو عيسى واما المسيح فلقب

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)